بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خاتم الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

غزوة تبوك

موقع تبوك: تبوك هي أقصى موضع بلغه رسول الله « صلى الله عليه وآله » في غزواته . . وهي في طرف الشام من جهة القبلة، وبينها وبين المدينة المشرَّفة اثنتا عشرة مرحلة، (معجم البلدان ج ٢ ص ١٥ وكتاب العين ج ٥ ص ٣٤٢)، وتبعد تبوك عن المدينة سبع مئة كيلو متر، وهي الآن مدينة قرب الحدود السعودية الأردنية، وتبعد عن عَمَّان أربع مئة وخمسين كيلو متراً، وعن الشام نحو ذلك، وقد أقام النبي(ص واله) في تبوك نحو عشرين يوماً وأرسل إلى هرقل رسالة أو أكثر وتلقى جوابها. جواهر التاريخ للكوراني: ج٣/١٠٢.

تاريخ الغزوة: كانت غزوة تبوك في ٣ رجب سنة ٩ هـ قبل حجة الوداع.

مدة الغزوة: كانت أول غزواته « صلى الله عليه وآله » بدر، وآخرها غزوة تبوك قبيل وفاته « صلى الله عليه وآله »، واستغرقت ثمانين يوماً ولم يقع فيها حرب، لأن الروم انسحبوا من تبوك عندما توجه إليهم، ووقع الأكيدر ملك الدومة في الأسر، فكتب النبي « صلى الله عليه وآله » معه صلحاً.

سبب الغزوة: في السنة التاسعة للهجرة بلغ النبي(ص واله) أن الدولة الرومية تستعد لغزو البلاد الإسلامية، فاستنفر (ص واله) المسلمين في المدينة المنورة وخارجها، فاستجاب له المسلمون آنذاك إلا المنافقين ومن أظهر الإسلام خوفا لا إيمانا، كبعض الذين أسلموا في فتح مكة ممن سمّاهم النبي(ص واله) الطلقاء، فإنهم تخلفوا عنه (ص واله).

لماذا تخلّف الإمام علي(ع): كان النبي(ص واله) يصطحب المنافقين معه عند خروجه الى الحرب وذلك لإفشال مؤامراتهم ورد كيدهم، ولمّا تخلف المنافقون عن الخروج إلى غزوة تبوك ولّد هذا الشيء عند النبي(ص واله) الشعور بأن تخلفهم يحمل في طياته خطرا جسيما، لذا اضطر(ص واله) إلى إبقاء خليفته ووصيه ومن هو بمنزلة هارون من موسى منه في المدينة.

شعار الغزوة: كان شعار المسلمون في معركة تبوك (يا أحد يا صمد). الصحيح من سيرة النبي الأعظم: ج١٠٥/٢٢.

من وحي حديث المنزلة: من الأمور المهمة التي ارتبطت بغزوة تبوك حديث المنزلة وهو قول النبي(ص واله) لأمير المؤمنين(ع)، أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وهذا الحديث فيه من الدلالة الواضحة على تنصيب الإمام علي بن أبي طالب(ع) خليفة ووصيا وقائدا للأمة الإسلامية بعد رحيل النبي(ص واله)، فدلالته واضحة (بأن لأمير المؤمنين(ع) جميع منازل هارون من موسى إلا منزلة النبوة، واستثناء النبوة دليل العموم لجميع المنازل، ومن الواضح: أن أظهر خصوصية كانت بين هارون وموسى هي أخوّته له، وشد أزره، ووجوب طاعته، ووزارته، وشراكته في أمره، وكونه أولى الناس به حياً وميتاً، حسبما أشارت إليه الآية الكريمة: (وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) طه: ٢٩-٣٢، فلا بد أن يراد بكونه بمنزلته هو هذه الخصوصيات، ولا سيما هاتان الخصوصيتان). الصحيح من السيرة للسيد مرتضى العاملي، ج٢٩/٢٧٠. وقد يقول قائل: إن حديث المنزلة خاص بفترة تبوك ولا ربط له بعد وفاة النبي(ص واله). ويمكن الإجابة على ذلك بأنه إذا كان هذا المعنى المراد من الحديث فهذا يؤدي إلى التناقض في حديثه (ص واله) وحاشا أن يكون كذلك، فإذا كان يريد هذا المعنى فقط فكان عليه أن يقول(إلا انه لا نبي معي) ولا يقول(انه لا نبي بعدي)، هذا أولا، وثانيا، نجد أن النبي(ص واله) استخلف على المدينة عدة من الأشخاص عند خروجه في غزواته كغزوة الفتح وخيبر وبدر وغيرها، فلم يجعل لهم هذه المنزلة التي جعلها للإمام أمير المؤمنين(ع).

لماذا هذا الوقت: لعل اختيار النبي(ص واله) وقت هذه الغزوة له عدة دلالات، والتي منها: اختبار الصحابة، وإظهار كوامن النفوس، وفضح النوايا الخبيثة لشريحة من المنافقين الذين يتربصون بالإسلام وبالمسلمين شرا. قال العاملي في الصحيح من السيرة، ج٢٩/ ص١٣٩: لعل الأصح هو أنه « صلى الله عليه وآله » قد أراد فيما أراد: أن يفضح حقيقة نوايا تلك الطغمة

التي تتربص بالإسلام وبالمسلمين شراً، وهذا ما أشار إليه الشيخ المفيد « رحمه الله » حيث قال عن تبوك: (فأوحى الله تبارك وتعالى اسمه إلى نبيه « صلى الله عليه وآله »: أن يسير إليها بنفسه، ويستنفر الناس للخروج معه، وأعلمه أنه لا يحتاج فيها إلى حرب، ولا يمنى بقتال عدو، وأن الأمور تنقاد له بغير سيف، وتعبَّده بامتحان أصحابه بالخروج معه واختبارهم، ليتميزوا بذلك، وتظهر به سرائرهم، فاستنفرهم النبي « صلى الله عليه وآله » إلى بلاد الروم، وقد أينعت ثمارهم، واشتد القيظ عليهم، فأبطأ أكثرهم عن طاعته، رغبة في العاجل، وحرصاً على المعيشة وإصلاحها، وخوفاً من شدة القيظ، وبعد المسافة، ولقاء العدو، ثم نهض بعضهم على استثقال للنهوض، وتخلف آخرون الخ).

يمكرون ولكن...!: جاء في الصحيح من السيرة للعاملي ج٣٠/١٥٤: قال موسى بن جعفر (ع): ولقد اتخذ المنافقون من أمة محمد (ص واله) وبعد انطلاق محمد (ص واله) إلى تبوك، أبا عامر الراهب أميراً ورئيساً، وبايعوا له، وتواطأوا على إنهاب المدينة، وسبي ذراري رسول الله (ص واله) وسائر أهله وصحابته، ودبروا التبييت على محمد، ليقتلوه في طريقه إلى تبوك، فأحسن الله الدفاع عن محمد (ص واله)، وفضح المنافقين وأخزاهم، وذلك أن رسول الله (ص واله) قال: (لتسلكن سبل من كان قبلكم، حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضبّ لدخلتموه) قالوا: يا ابن رسول الله، ... وماذا كان هذا التدبير؟! فقال (ع): اعلموا أن رسول الله(ص واله) كان يأتيه الأخبار عن صاحب دومة الجندل، وكان ملك تلك النواحي، له مملكة عظيمة مما يلي الشام، وكان يهدد رسول الله (ص واله) بأنه يقصده، ويقتل أصحابه، ويبيد خضراءهم، وأكثر المنافقون الأراجيف والأكاذيب، وجعلوا يتخللون أصحاب محمد (ص واله)، ويقولون: إن أكيدر قد أعد من الرجال كذا، ومن الكراع كذا، ومن المال كذا، حتى آذى ذلك قلوب المؤمنين، فشكوا إلى رسول الله (ص واله) ما هم عليه من الخدع، ثم إن المنافقين اتفقوا، وبايعوا أبا عامر الراهب الذي سماه رسول الله (ص واله) الفاسق، وجعلوه أميراً عليهم، وبخعوا له بالطاعة، فقال لهم: الرأي أن أغيب عن المدينة، لئلا أتهم بتدبيركم،

وكاتبوا أكيدر في دومة الجندل، ليقصد المدينة، ليكونوا هم عليه، وهو يقصدهم فيصطلموه، فأوحى الله إلى محمد(ص واله)، وعرَّفه ما اجتمعوا عليه من أمرهم، وأمره بالمسير إلى تبوك، وكان رسول الله (ص واله) إذا أراد غزواً ورَّى بغيره إلا غزاة تبوك، فإنه أظهر ما كان يريده، وأمرهم أن يتزودوا لها، وهي الغزاة التي افتضح فيها المنافقون، وذمهم الله تعالى في تثبيطهم عنها، وأظهر رسول الله (ص واله) ما أوحي إليه أن (الله) سيظفره بأكيدر، حتى يأخذه ويصالحه. فقال لهم رسول الله(ص واله): (إن موسى وعد قومه أربعين ليلة، وإني أعدكم ثمانين ليلة، ثم أرجع سالماً غانماً، ظافراً بلا حرب يكون، ولا أحد يستأسر من المؤمنين)، واستأذنه المنافقون بعلل ذكروها: بعضهم يعتلّ بالحر، وبعضهم بمرض يجده، وبعضهم بمرض عياله، وكان يأذن لهم.

مسجد الضرار: فلما صح عزم رسول الله (ص واله) على الرحلة إلى تبوك عمد هؤلاء المنافقون فبنوا مسجداً خارج المدينة وهو مسجد الضرار، يريدون الاجتماع فيه، ويوهمون أنه للصلاة، وإنما كان ليجتمعوا فيه لعلة الصلاة، فيتم لهم به ما يريدون، ثم جاء جماعة منهم إلى رسول الله (ص واله) وقالوا: يا رسول الله إن بيوتنا قاصية عن مسجدك وإنا نكره الصلاة في غير جماعة، ويصعب علينا الحضور، وقد بنينا مسجداً، فإن رأيت أن تقصده تصلي فيه لنتيمَّن ونتبرك بالصلاة في موضع مصلاك، فلم يعرّفهم رسول الله (ص واله) ما عرّفه الله من أمرهم ونفاقهم، فقال رسول الله (ص واله): (أنا على جناح سفر، فأمهلوا حتى أرجع إن شاء الله تعالى، ثم أنظر في هذا نظرا يرضاه الله تعالى)، وجدَّ في العزم على الخروج إلى تبوك، وعزم المنافقون على اصطلام مخلفيهم إذا خرجوا، فأوحى الله تعالى إليه: (يا محمد، إن العلي الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول لك: إما أن تخرج أنت ويقيم علي، وإما أن يخرج علي وتقيم أنت)، فقال رسول الله (ص واله): (ذاك لعلي)، فقال علي (ع): السمع والطاعة لأمر الله وأمر رسوله، وإن كنت أحب أن لا أتخلف عن رسول الله (ص واله) في حال من الأحوال، فقال رسول الله (ص واله): أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟! فقال: رضيت يا رسول الله

، فقال له رسول الله (ص واله): (يا أبا الحسن! إن لك أجر خروجك معي في مقامك بالمدينة، وإن الله قد جعلك أمة وحدك، كما جعل إبراهيم أمة، تمنع جماعة المنافقين والكفار هيبتك عن الحركة على المسلمين)، فلما خرج رسول الله (ص واله) وشيعه علي (ع) خاض المنافقون وقالوا: إنما خلفه محمد بالمدينة لبغضه له، وملاله منه، وما أراد بذلك إلا أن يبيته المنافقون فيقتلوه، ويحاربوه فيهلكوه، فاتصل ذلك برسول الله (ص واله)، فقال علي (ع): تسمع ما يقولون يا رسول الله؟ فقال رسول الله(ص واله): (أما يكفيك أنك جلدة ما بين عيني، ونور بصري، وكالروح في بدني)، ثم سار رسول الله (ص واله) بأصحابه، وأقام علي (ع) بالمدينة، وكان كلما دبر المنافقون أن يوقعوا بالمسلمين فزعوا من علي (ع)، وخافوا أن يقوم معه عليهم من يدفعهم عن ذلك، وجعلوا يقولون فيما بينهم: هي كرة محمد التي لا يؤوب منها.

الرجوع الى المدينة المنورة: ثم كرّ رسول الله (ص واله) راجعاً إلى المدينة إلى إبطال كيد المنافقين في نصب ذلك العجل الذي هو أبو عامر، الذي سماه النبي (ص واله) الفاسق، وعاد رسول الله (ص واله) غانماً ظافراً، وأبطل الله كيد المنافقين، وأمر رسول الله (ص واله) بإحراق مسجد الضرار، وأنزل الله عز وجل: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)، التوبة: ١٠٧.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

قسم الشؤون الدينية / شعبة التبليغ
www.imamali-a.com
tableegh@imamali.net
07700554186

قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية
٦٧

تبوك

٣ رجب / ٩هـ